

السنة السادسة

الجزء ٥

المحاضرة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك

ونشر للشرق مدينة الغرب وللغرب مدينة الشرق

نيويورك حزيران — (يونيو) سنة ١٩٠٨ — جمادى سنة ١٣٢٦

كلام لابن الشرق في الغرب

الآن بدأت أحب أميركا

مثال من مدينة اميركية

مقالة مكتوبة فيها

نعم هذه اول مرة شعرت بها بجمل الى اميركا والمدينة الاميركية . ولم يهبط على نفسي هذا الميل وحيًا من السماء ولا اندفعت اليه اندفاعاً بفاعل العواطف التي يكون حكمها في اكثر الاحيان حكماً (سطحياً) ولا انا اكتب هذا الكلام تزلفاً الى الاميركيين الذين يقرأون الجامعة في اميركا وسوريا ومصر — اذ بين قرائها في نيويورك نفر من المستشرقين الاميركيين الافاضل تشرفت الجامعة بان تعرفت اليهم — ولكني اكتبه بعد درسي اميركا سنتين وكما لدرسي لها بدخولي في داخلتها ومراقبة احوال الشعب الاميركي فيها

واول ما هبط على نفسي هذا الميل كان في البلدة التي اكتب منها هذه السطور وهي ولیمنتیک في طرف ولاية کناٹکت الشرقي مما يلي ولاية رودايلند . فقد صرفت فيها يومين احدهما يوم أحد وفي هذين اليومين بدأت أشعر بذلك الميل . على انه والحق يقال قد ابتداء في نيوهافن ولكنني لم أحس به احساساً كاملاً الا في ولیمنتیک

ومن حسن الحظ ان زيارتي للداخلية في هذا الشهر (١) كانت في مفترق الطريق أي بعد نشر المجلة المقالة السابقة في هذا الموضوع وخاتمتها مسألة يتوقف عليها الحكم في المدينة الاميركية ومنزلتها ومصيرها لا يمكن الحكم في حقيقتها الحاضرة . وهي هذه كما عمتها الذاكرة اذ ليس لدي الآن نسخة من ذلك الجزء (هل الطريق التي سلكتها المدينة الاميركية تؤدى بها الى الافاق العليا التي تعيش فيها الامم العليا وتصبح امة عقلية علمية فلسفية اجتماعية كما هي امة تجارية صناعية زراعية بل أعظم الامم في هذا الامر المادي . أم تبقى كما هي بلاداً مادية كبرى ويبقى فيها الفن والعلم وجميع آثار العقل والنفس في طفوليتها كما هي الآن ؟)

سألت هذا السؤال قبل خروجي من نيويورك ومشاهدة آثار المدينة الاميركية في الداخلية . على انني الآن بعد تجوالي في ولاية كاملة انظر الى هذا الموضوع من وجه آخر لعله يمكنني الجواب عن تلك المسألة جواباً صحيحاً مبنيّاً على البرهان اليقين لا على الظن والتخمين

(١) يعلم قراء الجامعة « الجريدة » انني دخلت في هذا الشهر داخلية الولايات المتحدة لصر في بعض ولاياتها وقبلة رحلتي كندا حيث امتزج الشمدن الانكليزي والفرنسوي والاميركي امتزاجاً لا شبيه له في الدنيا كلها

نتيجة عمل امة

واول ما يتبادر الى الذهن ان النتيجة التي حصلت عليها اميركا في هذه
 المدة القصيرة نتيجة عظيمة جدية بل عجاب كل مفكر منصف . فتجارتها وصناعاتها
 وزراعتها اعظم تجارة وصناعة وزراعة في الدنيا واذا كانت عديمة الاتقان الذي
 يكون للصنائع الاوروبية فلها عذر مقبول وهو انها لم تبدئ الا منذ اكثر من
 قرن والصنائع الاوروبية نتيجة اتقان قرون عديدة . وأهلها اغنيا . يكسب الواحد
 منهم في عامه ما يكسبه امثاله في غيرها في عدة اعوام . فان اجرة العامل الذي
 يعزق الثلج من شوارع نيويورك في زمن الشتاء ريالان في النهار وثلاثة أو
 أربعة في الليل واجرة مثله في اوربا ٤٠ سنتاً أو أقل من نصف ريال وفي
 مصر وسوريا يشتغل العامل بربع ريال . وفي اميركا يتمتع الانسان بما يكسبه
 لان كسبه مضمون لديه وذلك لكثرة الاعمال فيها وسعة البلاد وغناها واذا
 اقتصد فانه يقتصد اموالاً طائلة في مدة قصيرة . اما ابنا اوربا والشرق فلا يقتصدون
 ما يقتصدونه الا بشق النفس وحرمانها ولذلك يتهم الاميركيون على الاوروبيين
 بقولهم انهم يقتصدون ما يقتصدونه في (جواربهم الصوفية) وهو مثل فرنسوي
 كناية عن ان غنى الشعب الفرنسي وارد من اقتصاد ابنائه المال القليل في
 (جوارب الصوف) ولعل الاصل في ذلك ان عجائزهم وفلاحهم كانوا يتخذون
 هذه (الجوارب) (الكلسات) خزائناً لما يقتصدونه . فضلاً عن ذلك فان
 اميركا امة عزيزة بين الامم فهي ترفع رأسها بانفة وكبرياء بين جميع شعوب
 الارض وحكومتها مهيبة نافذة الكلمة لم يجز عليها ذلك ولا نالها خفض عيش
 وقوتها البحرية معدودة ثانياً قوات الدول الكبرى اذ لا تتقدمها في ذلك امة
 غير الامة الانكليزية . أضف الى ذلك ان شعبها محكوم بشرائع منطبقة على

حاجاته ومع كون الحرية مطلقة فيها الى آخر حدودها في بعض الامور فان حكومتها تقيدتها في امور اخرى وتسلب الشعب شيئاً منها دون ان يحتج الشعب عليها لمعرفة انها انما تفعل ذلك لمنفعته لا لعدائها للحرية اذ لا عدو للحرية هنا ينبغي صرعاها واقامة حكومة مستبدة مطلقة مكانها كما هي الحال في فرنسا حيث تذهب نصف قوة الحكومة في اتقاء عدوان الملكيين والبونا برتيين والا كليريكيين على الحرية والجمهورية . ومع كون الامة الاميركية ولايات ولايات كل ولاية مستقلة بادارة شؤونها الداخلية استقلالاً يكاد يكون كاملاً والحرية فيها مطلقة للجرائد والجمعيات اطلاقاً كلياً وعدد المشعوذين الذين يستثيرون الشعب على رجال الفضل من أهل الحكم وغيرهم كثيرون وعدد الحيتان الهائلة الذين يبعون احتكار ثروة البلاد ومن فيها في شركات تمتص دماء العمال غير قليلين مع قلة الجنود الذين لا يتجاوزون ٦٦ ألفاً في زمن السلم بحراً وبراً وبينما جيش فرنسا العامل في زمن السلم يبلغ ٥٠٠ ألف رجل — مع كل ذلك لا نسمع بفتنة او ثورة ولم تتمرّد ولاية وتستأثر بأمرها ولا نرى شبه اضطراب مما نراة ونسمع به في كل يوم في فنزويلا وهابتي وجمهوريات اميركا المتوسطة

فنتيجة كهذه النتيجة حصلت عليها الولايات المتحدة وانشأت شعباً نشيطاً حراً يرفع رأسه بكبرياء تحت قبة السماء وتهابه الاسود في غاباتها والحيتان في لجاتها وله جامعة ينفذها بالنفس والنفيس وثروة تنثر ملايين الريالات في طريقه كما تنثر اوراق الخريف — جديرة بالاعجاب وان يُقال عن الامة التي نالتها دون مساعدة احد لها والحكومة التي انالتها ايهاها ولم تعد عليها انها امة عظيمة وحكومة كبرى 'تحتي امامها الهام ويرفع اليها الاحترام هكذا يقول القائلون الذين ضلعمهم مع اميركا وكل واحد منا يحس بان هذا

القول حق من هذا الوجه . ولكن غيرهم ينظرون الى اميركا من وجه آخر
فصلناه فيما سبق من مقالاتنا ونرى ان هنا نقطة الخلاف التي يجب ازالتها .
ومتى قبضنا عليها امكنا ان نحلّ الاشكال ونجيب عن ذلك السؤال

لماذا يكره بعضهم اميركا وماذا

يكرهونه فيها

كثيرون منا يكرهون اميركا مع معيشتهم فيها ولا نتكلم هنا عن الذين
لا ينجحون فيها فهو لا معذورون في هذه الكراهة ولكننا نتكلم خصوصاً عن
الذين ينجحون فيها ويكرهونها وبالاخص عن المقيمين في المدن الكبرى كنيويورك
وشيكاغو وفيلادلفيا وغيرها . وبما اننا قد شعرنا شعور هؤلاء مدة اقامتنا في
نيويورك فيمكننا ان نصف حالة نفوسهم بما شعرنا به في نفسنا بعد معيشتنا
في نيويورك

يفد أحدنا من الشرق على نيويورك وهو يظن انه منتقل الى بلاد الكمال
والجمال . فقد عاشنا جميعاً كثيرين من افاضل المرسلين الاميركان في سوريا
ومصر ورأينا فضلهم ودماثة اخلاقهم وسمعنا دعواتهم الى الآداب والدين
والفضائل والاخاء البشري فحبل لنا ان اميركا هي وطن هذه الكمالات كلها
ولا شيء فيها مما يخالفها ويناقضها . ولكننا حين تخطأ اقدامنا ارض نيويورك
مثلاً فماذا نرى ؟ اننا في بدء الامر ندهش بما نراه من ضخامة العمران وخطامة
البنيان ثم بعد الدهشة تأتي نوبة التأمل والامعان . وبعد هذا الامعان والتأمل
نصاب بدهشة اخرى غير تلك الدهشة وذلك لاننا نرى في نيويورك — عاصمة
اميركا التجارية — ما لم يكن في الحسبان . فقد تركنا الشعوب في الشرق
خرافاً يجرّ صوفها ويستدرّ لبنها ويستبدّ بها حاكمها وغنيها والرئيس الروحي فيها
فوجدنا الشعب في اميركا تحت نير عبودية لاصحاب الاموال والرؤساء تختلف

عن عبودية الشعب الشرقي ولكن النتيجة واحدة وهي انبن الشعب تحت عبث
القبيل . انا قلما رأينا في الشرق رجالاً بشوارب ضخمة وبنية قوية يستمطون
خبزهم دون حياء او يصطفون مئاث امام قسيس يصلي في الشارع ويستعطي
لهم ابنا السبيل لا طعامهم واياواتهم ولكننا رأينا في نيويورك ذلك واكثر منه .
انا لم نر في الشرق نساء يترنخن في الاسواق سكرًا وينظرحن على بلاط
الشوارع معربدات ولكننا رأينا ذلك في نيويورك . انا لا نعد في سوريا كلها
تقريباً حانات وخارات بقدر ما نعد منها في مدينة نيويورك وحدها اذ في كل
زاوية شارع حانة — قاعدة مطردة لا تقبل استثناء . وبما ان جميع الشوارع
متقاطعة والزوايا كثيرة متقابلة فالحانات متقابلة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً
وهم يسمونها (صالون) وعشرات من البشر تزدهم في كل واحدة منها على
مشروبات قتالة وامزجة مختلفة يدخل شراب الوسكي فيها كلها تقريباً لانه
سلطان المشروبات في اميركا . والمضحك انه من المقرر إقفاها في يوم الاحد
ولكن اكثرها يبيع فيه الخمر سراً بل جهراً لان بعض الشرطة يفضون الطرف
واذا امسك احد الخفية (البوليس السري) صاحب حانة وهو يناول رجلاً
مسكراً من حانته فلا يقدر ان يقبض عليه ويقاضيه لان صاحب الحانة يمكنه
ان يدعي انه يهب ذلك المسكر هبةً ولا يبيعه بيعاً ولا تحق العقوبة على صاحب
الحانة الا اذا شوهد يقبض من الشارب ثمن ما شرب وهناك حيلة أغرب
وأعجب وهي ان بعض اماكن الخلاعة تدعى (ميوزيك هول) أي قاعات
موسيقية فتفتح في يوم الاحد وتباع فيها المسكرات جهراً بحجة ان طالبا لا
يطلبها لذاتها بل يطلبها لياكل ولذلك يقدمون مع كأس المسكر التي يتوضع امامك
قطعة من (الصندويچ) او كسرة من الخبز واللبن وغني عن البيان انك تدفع
ثمنها فوق ثمن المسكر وان كنت لا تأكلها . ادخل في يوم أحد قهوة ١١ مرتين “

المشهورة في نيويورك وهي فرنسوية واطلب شراباً روحياً فيسألك الخادم للحال أي (صندوق) تريد لانه يبيعك المسكرات مع الصندوق ولا يبيعها بدونه . وما عدا هذا فانك ترى الفاحشة علنية في نيويورك والنساء الساقطات يملأن الشوارع من الشارع الرابع عشر الى ما فوق في داخل المدينة ونسبتن في بعض الشوارع في المساء الى الحرائر كنسبة ١٠ الى ٥ . ثم ماذا ترى ؟ ترى ارتقاءً عظيماً في الاخلاق فان الرجال يستوقفون هؤلاء النساء او يجالسونهن في الاماكن العمومية والمطاعم كأنهم لا يأتون امرأ اداً . وبين هذا وذاك تسمع زفير المدينة زفيراً هائلاً وترى حركة دائمة يتدافع فيها الناس كأنهم في طراد والسابق السابق منهم الجواد . فهذا يصطدم بك ولا يلتفت فحوك . وذاك تسأله من اين الطريق فيطمطم ويرطن ويصرف وجهه عنك . وذلك يعرض سيكاره ويصق امامك فربما اصابك رشاش هذا الطلّ القبيح . وغيره يعلو على الاوتوموبيل في مفترق الطريق بين زحام مركبات الترمواي وعربات النقل ويشتمك بطمطمانيته لانك اجتزت امامه سريعاً ولم تتركه يدوسك . وغيره نشوان رنحت الخمرة جسمه ولسانه وقبعته يتعلق بك ويقول انه لم يأكل منذ يومين ولذلك يطلب (فيف سنس) أي خمسة سنتات ليأكل الخ الخ الخ .

فبعيشكم اخبرونا ماذا تكون تأثرات ابن الشرق حين يرى هذه المدهشات كلها في اميركا وهو قادم ليرى فيها معجزات الآداب والمدينة قياساً على ما قرأه عن الامبركيين وما سمعه من ابناء اميركا في الشرق . هذا ناهيك عن خشونة المعاملات وغلظة الاساليب والاحاديث التي لا تسمع فيها وانت مارث في الشارع غير ذكر هندرد دولارس — ثوزند دولارس . ناشيونال بنك . ب . مرغن اند كومباني مضافاً اليها في الشتاء قرّ يقتل الحيوان والانسان وفي الصيف حرّ يذيب الشحم واللحم في الابدان . حتى اننا كثيراً ما نظرنا في نوافذ منازل من

أحسن المنازل رجالاً بقميص القطن (الفلانلا) مكشوف الصدر بارزين من النافذة وهم يقرأون الجرائد والناس في مركبات الترمواي والشوارع رجالاً ونساء ينظرون اليهم دون مبالاة كأن فعلتهم هذه أمر اعتيادي

كل ما ذكر وما لم يذكر من أمثال هذه الامور التي لا يتوقع زائر اميركا ان يراها فيها تحمل ابن نيويورك وخاصة ابن الشرق فيها على ان يظن ان اميركا هي ما يراه في تلك الامور الشاذة والمناظر الثقيلة والامور التي تنفر منها الطباع السليمة. يظن ذلك وهو مهاجر ولا يخطر في باله ان الذين يراهم ويعاملهم ويحكم عليهم ذلك الحكم قد يكونون مهاجرين مثله تركوا الى انفسهم في وسط شديد عليهم فأشبه فيهم التأثير الذي رآه وكان سبب نفرتهم . فقد قيل في نيويورك (انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها) يعنون ان اكثر أهلها مهاجرون غرباء ولكن كل مهاجر غريب فيها لا يعد غريباً لانه بين غرباء مثله . فاذا شئنا الحكم على مدينة احدى الامم يجب ان لا نتخذ موضوعاً لدرسنا المهاجرين اليها ومدنها الكبرى فقط فان من خصائص هذه المدن ان يجتمع فيها احط ما يكون وأرفع ما يكون . فاذا شاهدنا المنحط فيجب علينا ان ننكش عن الحكم قبل مشاهدة الرفيع ايضاً . ولو كان جميع شعب الولايات المتحدة كالجهور الثقيل الذي مرّ وصفه آنفاً لما كانت اميركا اميركا ولما قدرت ان تحصل على النتيجة التي مرّ بسطها في الفقرة السابقة . وساجعلك تزور معي في مقالة تالية داخلية الولايات المتحدة حيث اريك شعباً غير الشعب الذي عرفته في نيويورك ونفرت جوانحك كلها منه . وسأريك منه اموراً تجعلك تحبه كما أحببته . ولعلك ترى في ما سيلي حلاً لتلك المسألة التي أشرنا اليها في مقدمة الكلام ونبحث معاً في حلها

عش رجباً

تر عجباً

مشاهدة مؤلة في نيويورك

معركة على المدينة الحديثة

(بقلم نقولا افندي الحداد)

ما كان يلوح لي وانا في اميركا أم الغنى وينبوع الخير والرزق أن أرى
ما رأيته في الساعة التاسعة مساءً منتصف الشهر الغابر . وما زلتُ الى الآن
اتعجب واتحير من ان الامر الذي رأيته ودهشني انما هو شيء مألوف في
هذه البلاد

كنتُ ذاهباً في تلك الساعة الى مخدعي حيث اريح مجموعتي العصبي بعد
جهاده كل النهار في تلقي ضوضاء المدينة وجلبتها وتلاطم الافكار في لجة
العمل فاذا بي قد استوقفتني أمرٌ زاد اعصابي اضطراباً وامواج افكاري التطاماً .
فلم انم مطمئن البال

رأيت رهطاً من الادميين (نحو ١٥٠ رجلاً) وقد اندفع في عرض الشارع
الى شارع آخر مقاطع له . ولا يخفى ان حب الاستطلاع غريزة في البشر .
فتقدمت الى القوم لارى ما الخبر فاذا هم قد اصطفوا على رصيف الشارع
متلازين متراصين كأنهم جدار من الابدان البشرية . فمشيت وراءهم ثم امامهم
فلم أر شيئاً غريباً سوى ان رجلاً التى امام ذلك الصف صندوقاً من الخشب
كان يتأبطه . فعلمت ان السر منحصرٌ في هذا الرجل فتقدمت وراء الواقفين
حتى صرت بإزائه فوجدت انه يوزع على اولئك الوقوف شيئاً وقد أصابني
نصيبٌ منه

تناولت ذلك النصيب فاذا هو قطعة من الخبز بقدر الكف — بلا مبالغة —
 فقلت لمن هو الى جانبي ، ما هذه . قال ، ، عشاء ، وكان يلوك خبزته .
 فقلت له ، ، لقد تعشيت . فهل لك فيها ؟ ، فتناولها في الحال والتمهما
 وبعد هنيهة انفردت بذلك الرجل وقلت له . ، ما زلت لا افهم شيئاً
 مما أرى . فما معني هذا ؟ ، فضحك وقال لي ، ، هو لا ، مساكين مدقعون
 لا يملكون شروي تقير ولا عمل لهم يسترزقون منه فيتضوون جوعاً . وذلك
 الرجل يتسول من اجلهم بضعة ريالات فيمتاع بها خبزاً ويفرقه عليهم .
 فقلت ، ، وماذا تفي هذه البلغة من حاجة المعدة الى الغذاء سوى انها تثير
 الشهوة وتبيح الجوع .

فقال ، ، انها خير من طي الليل كله على الطوى .
 فقلت ، ، أليس عجيباً ان تعدّ بلغة العيش عشاءً يحيي الرمق في اميركا
 وفي مطاعمها فضلات الخبز تُقري قبائل وفي براريها المترامية الزروع الخصيبة وفي
 أهرائها عرم لا تعدّ من الخنطة والحبوب وفي نيويوركها قناطير مقنطرة من
 الاموال ؟

فقال ، ، ليست لنا هذه التي تعدّها بل هي لاهل الثراء الذين يتنعمون
 في قصورهم ويبدخون في انديتهم . واما نحن العمال الذين بنينا لهم تلك القصور
 واقنا لهم تلك الاندية فلا ناكل خبزنا الا يوم نجد شغلاً نسكب فيه عرقنا .
 فان وقفت حركة العمل وجب ان تقف حركة حياتنا معاً .

وما زلت ازداد حيرة ودهشة ولا اكاد اصدق ما اسمع وأرى فقلت
 ، ، أليس عاراً على اميركا التي تعد اسعد الممالك واهناها شعباً ان يوجد فيها
 ناس كالعازر يتسقطون الفئات من موائد الاغنياء ؟
 فضحك قائلاً . ، اراك يا هذا لا تزال تعتقد اننا نعيش لاننا نتحرك .

لا . لا نعيش . بل نحن موتى لاننا خلو من كل لذة . ولو كان نصيبنا اليوم من العالم كنصيب البعازر من الغني لكننا في نعمة ونعيم . ولا اعتقدنا ان هناك فئة اخرى تحسدنا عليها . ولكن ألم ترَ ماذا كان عشاءنا في هذا المساء . آمن بالله يا رجل وصدق انني لم اذق طعام القهوة منذ ١٥ يوماً “

فتنهت متألماً ونفختُ نفخ الافرغ والتفت الى ذلك الجمع فرأيت الرجل الذي وزع عليه كسر الخبز قد جعل يصفته في عرض الشارع سبعة سبعة متلاصقة متضامة حتى صار كأنه كتلة جث لا تزال تتنفس كأن لها بقية رمق ولا تزال تحيا كأن الموت مغمض عينيه عنها

ثم ركم الرجل على صدوقه وجعل يصلي واولئك الاشباح رفعوا قبعاتهم حتى انتهت الصلاة

ثم وقف الرجل وجعل يتكلم وكان على الرصيف بعض رجال ونساء واقفين يرون ويسمعون وبعض المارة يتوقفون هنيئة ثم يتمشون

وكان نحوى كلام استهلال الرجل ان ، بعض الناس يسمون هؤلاء الرجال اوباشاً . وبعضهم يسمونهم اوغاداً . وبعضهم يقولون (تنابل) . فسموهم ما تشاؤون فانهم لا يزالون بشراً واخوة لنا في الانسانية . ومهما يكن سبب بوئسهم فعلياً ان نرد هجمات الجوع عنهم . ليس لهم من حطام هذه الدنيا غير اجسادهم وما عليها من الرداء . فاذا تعطف عليهم المشفقون اكلوا وان احسنتم عليهم الآن امكنهم ان يناموا في مضاجع كسائر البشر

، حاجتنا الى ١٥ سنتاً اجرة مخدع لكل منهم في هذه الليلة فان لم نستطع ان نجتمع حتى منتصف الليل الستات المطلوبة بقي هؤلاء المساكين يتجولون في شوارع المدينة حتى الصباح واسنانهم تصرأ وابدانهم تقشعر برداً كما جرى لهم ليل الاحد الماضي “

واسترسل ذلك الرجل بمثل هذا الكلام وغيره مبيناً ادواء الهيئة الاجتماعية وعلمها حتى مرت نحو ساعة فجعل يرنم واولئك التعسرون يشتركون معه . وبعد ترنيم عدة ترنيمات استأنف الخطابة ثانية

وكان في خلال ذلك يتقدم اليه بعض المارة أو الوقوف ويدفعون له ما جادت به انفسهم

وكان في تلك الغضون ايضاً يعبر بعض اكابر القوم في اوتوموبيلاتهم فلا يعبان بما يرون . فكنت . اخاف ان يهيج الغيظ والحق اولئك الجائعين فيهجمون عليهم هجوم الذئاب الحائرة على قطعان الغنم . ولكن انى يفعلون ذلك وهم يقرأون ويطلعون ويعلمون كسائر الانام ان في البلاد شريعة قاسية في معاقبة المتهجمين الغزاة القتل

وقد علمت ان نيويورك وغيرها من المدن الكبرى لا تخلو من مثل هذا المشهد كل ليلة وفي احياء المدينة عدة مشاهد مثله على مدار السنة . ولكن الذي زاد الطين بلة هذه الازمة الحاضرة التي قطعت ارزاق الوف من العمال . فماذا يفعلون ؟ قال ذلك الرجل الذي كان يخطب ان بين هؤلاء الاشقياء رجلاً فقد وظيفة مهمة بسبب هذه الازمة وما كان يخطر له ان يقف هذه الوقفة . ولكنه اضطر ان يقفها فماذا يفعل ؟

يقولون ان في اميركا الوفاً من الاغنياء المحسنين الذين يجودون بالالوف والملايين للاعمال الخيرية العمومية . فلماذا اذاً لا زلنا نرى مثل هؤلاء المساكين يتوقعون لقمة من العيش عشاءً ويتظرون مرقداً خشناً ولو في آخر الليل . .

يقولون ان اميركا اغني بمالك الارض وان شعبها اهنأ الشعوب واسعدهم فما بالنا نرى قوماً يشتهون الفئات الذرية يقع عن مائدة الاغنياء ومع

ذلك لا ينالونه

يقولون ان المرء في اميركا كيف تحرك يكسب تقوداً . فما الوفاً من العمال يتضورون فلا ينالون رغيماً

يقولون ان اميركا بلاد الشغل والعمل وأي كان فيها يجد مسترزقاً . فما بال هؤلاء المتضورين لا يجدون

لم يزل البشر هم اياهم والارض كما يهدونها . فلا قحط ولا محل ولا ولا جذب ولا ضربات من الله ولا من ابليس . وما زال الناس ذوي قوى للعمل ومعدٍ للآكل واجساد للباس الخ فلماذا تقف حركة العمل حتى يتضايق العامل ؟

الجواب عن كل ما تقدم

اولاً ان النظام الحالي جعل الاعمال كلها في يد مسيطرين عليها فاذا اقتضت مصلحتهم ان يستوقفوا حركتها اوقفوها . ولا يهمهم الامراذ فني جمهور العمال او عانوا عذاباً وشقاءً

ثانياً ان في اميركا خبرات كثيرة جداً ولكنها غير موزعة على مستخرجيها بحسب استحقاقهم منها بل بحسب المطاعم والتحايل النظامي في توزيعها

وعدم الانصاف في توزيع الثروة في اميركا اكبر مصائبها وهو اسوأ فيها منه في كل العالم . وربما كان سبب القضاء عليها في المستقبل القريب او البعيد

ثالثاً ان الاموال التي جاد بها المحسنون من الاغنياء قلما قصد منها ان تنفق على الاعمال الخيرية لاجل دفع البلاء ورفع الشقاء عن الجنس البشري

وتخفيف ويلات الفقراء بل قصد فيها بالاكثر اقامة معالم الفخر والمجد لذويها وانما فعل هذا بحجة فعل الخير العمومي

فكرنجي مثلاً ملاء البلاد الاميركية مكاتب كتبت عليها اسمه حتى يقال

بعد وفاته — اطال الله بقاءه — انه كان محباً للآداب والعلم وخادماً لها
ولكننا ما رأينا ان كرنيجي ابنتي مثأت والوفاء من المنازل الصغيرة لكي
يؤجرها لفقراء البشر بنصف اجرة مثلاً . ولا اقام الفنادق العديدة التي تؤجر
غرفها بقيم زهيدة للعمال المساكين الذين متى وقفت حركة العمل اضطروا ان
يناموا متجولين في الشوارع او يتجولوا نائمين . ولا انشأ مطاعم عديدة في
الاحياء المختلفة لكي يأكل فيها الفقراء المحتاجين بنصف او ربع ثمن عند
ميسر الحاجة

المدارس والمكاتب الخيرية نافعة جداً ولازمة للبلاد . وهي من أهم اسباب
رقياها — ليس من ينكر ذلك قط ولا يشبط العزيمة في الجنوح اليه . ولكننا ما
رأينا فقيراً يدخل الى مكتبة او الى مدرسة لانه قبل ان يغذي عقله يحتاج الى
ان يغذي جسده . وقبل ان يحتاج الى مكتبة يصرف وقت الفراغ فيها يحتاج
الى غرفة ينام فيها

تجددون فالشكر لكم . ولكن لا تكونوا مراثين في جودكم ولا تبجحوا فيه
تقولا الحداد

صوت صارخ في ربوع الشرق

أسكنه المنون

تذكراً لقاسم بك أمين

« الخطبة الاخيرة التي القاها قبل ثلاثة »

« ايام من وفاته »

في ثلاث سنوات فقدت مصر ثلاثة من افاضل رجالها الذين يضمن الزمان
مسئلتهم . المرحوم الشيخ محمد عبده المرحوم مصطفى باشا كامل المرحوم قاسم

بك امين الذي نعمته الجامعة (الجريدة) في احد اعدادها في الشهر الماضي نعيًا يليق بمثله

أتى على قاسم بك امين يوم كان فيه أشهر رجل في مصر وهو يوم نشر كتابه (تحرير المرأة) وكتابه (المرأة الجديدة) وقد رمى فيها الى أمر خطير في الشرق تراجعت عنه هم المصلحين المسلمين ولم يجترئ أحد منهم على الجهر به قبل الفقيده وهو رفع حجاب المرأة المسلمة والعناية بتهديبها وجواز اشتراكها في عمل الرجال وبعبارة اخرى رفعها من درجة (كائن قاصر يحتاج الى وصي) الى درجة (كائن مستقل بنفسه يتولى زمام نفسه) في دائرة الشرائع الموجودة الاجتماعية والعائلية . فقامت يومئذ في مصر ضجة لم يقم مثلها قط . وما ذلك لان هذه المبادئ جديدة قد اكتشفها الفقيد اكتشافاً فثاروا عليها فانها كانت موجودة قبله كما يعلم قراء اللغة العربية واللغات الاجنبية . وكثيرون من كتبة المسيحيين الشرقيين قالوا بها وباكثر منها . ولكن الذي أثار تلك الجلبة الهائلة قيام مسلم فاضل من أعقل عقلاء المصريين ممن تحترم آراءهم الخاصة والعامة وهو من اكبر قضاة مصر وصبه كل قوى نفسه وبلاغته في كتاب رمياً الى (رفع الحجاب) فلم تكن تر جريدة حتى الجرائد التي كانت على مذهب المؤلف سرا الا وهي مشحونة بالردود على قاسم بك امين والتهم على آرائه حتى سبه والتعريض به في بعضها . ولم يكتف أصحاب الذوق البارد بذلك بل ان بعضهم زاروه في بيته واذا فتحت لهم قاعة الاستقبال طلبوا ان تجالسهم قرينته الكريمة كما تجالس سيدات المسيحيين الضيوف ، عملاً بكتاب قاسم بك امين “ كما قالوا ولقد قرأنا كتابي قاسم بك امين فكان اعجابنا شديداً بالجرأة التي ظهرت منه في هذا الامر وفي أمر آخر . فانه لما رأى ان ماضي التاريخ الاسلامي يحول دون اقتباس شيء كثير من ضروريات الحياة الجديدة ، وذلك عند الجامدين

لا عند الاذكياء“ صدم في كتابه ذلك الماضي صدمة كصدمته للحجاب . ومن اقواله في هذا الصدد انه اذا لم يكن في المدينة الاسلامية القديمة ما يُنظَب اِذخاله الآن فما ذلك الا لان المدينة الاسلامية القديمة نشأت قبل قيام المدينة الحديثة ووجدت قبل نشأة جميع اصول العلوم والفنون ومبادئ السسيولوجيا . فكيف يمكننا ان نتخذها مثالا للكمال البشري نخذو حذوه وتتلو تلوه وهي قد نشأت قبل نشأة اصول العمران الحقيقية . ثم قال هذا القول البديع ، ان المدينة الحقيقية عبارة عن سير جميع الامم في طريق واحدة مرسومة اذ لا مدينة حقيقية خارج هذه الطريق “ ثم قال هذا القول الهائل ، ان الكمال البشري امامنا لا وراءنا “ (١) قال هذا القول بعد ان أظهر انه لم يحلُ زمن من ازمته التاريخ الماضي من الفظائع والجرائم والذائل وان الكمال سيكون في المستقبل ولم يكن في الماضي . فكأنه بذلك وضع (الايديال) Ideal العلمي الادبي الاجتماعي فوق ال Ideal الديني . وهذا أجراً ما في كتابه على الاطلاق . ولكن منتقديه لم ينتبهوا اليه على ما يظهر

وفي يوم وفاته في مصر حوالي ٢٠ نيسان زار نادي دار العلوم في مصر تصحبه بضعة من الطالبات الرومانيات اللواتي وفدنَ على مصر لزيارتها والقي خطبة وجيزة باللغة الفرنسية قال في خاتمتها ، قرب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المصريات المسلمات جالسات بجانب طلبتنا كجلوس زائرانا بجانبهم يتباحثون جميعاً في المواضيع المفيدة“

وكانت وفاته بعد الانصراف من هذه الحفلة بدءاً السكنة على ما يفهم من اخبار مصر . وقد ودع الفضل والعقل قبل وفاته بثلاثة ايام بخطبة غراء القاها

(١) اكتب هذه المقالة في فول ريفر (ماس) وليس لدي كتاب قاسم بك لمراجعة قوله على انني اضمن المعنى وان لم اضمن حرفيته

في عزبة سراوه (المنوفية) في احتفال حافل عقد فيها وشهده كثيرون من
 الاعيان اهتماماً (للجامعة المصرية) أي الكلية العلمية المنوي انشاؤها وكان
 الفقيه هو وصديقه الحيمان سعادتلو سعد باشا زغلول ناظر المعارف وسعادتلو
 احمد فتحي باشا زغلول وكيل الحقانية اول من قاموا بها . والمشاريع الخطيرة
 لا تقوم بها الا الهمم الكبيرة . وقد نشرنا هذه الخطبة بنصّها لانها كانت آخر
 ما خرج من روحه الطيبة وهي حسبنا دلالة على مقام الرجل
 نص الخطبة

قال بعد مقدّمة وجيزة

،، أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع
 الخير في محله

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امّتهم وتعظيم وطنهم اكثر من
 اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور وازياء الاضرحة . لو كانوا يجودون للاعمال
 بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلاد الاخرى
 أغنى جمعية في هذا القطر . ولكنها أفقرها جميعها

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة
 او وقف . من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان
 نقيب الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا ان عناية الجناح الحديوي ادركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة
 آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعدّه الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ
 النهضة الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشعور الوطني على نفعة تطرب السامعين وتفتح
 قلوبهم وجيوبهم ايضاً . في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين
 ماضينا ومستقبلنا ونطالب ان تتحقق فيه امانينا العزيزة . في هذا العصر ولولا ان
 أدركتها هذه العناية العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان انفع مشروع ظهر

في مصر ولد فيها ميتاً

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا أستطيع ان امنع نفسي من التصريح بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة ان يخفيه لشدة تواضعه وهو انه من اليوم الذي قبل فيه ان يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة العاملين فيها لتحقيقنا ان النجاح صار مضموناً

أيها السادة . ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها . عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الامم وفتحوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان تقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

اذا أردنا ان ننفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء ان ننظر الى أنفسنا ونعرف قيمتنا ونزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا يجب ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة أو يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعية انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه فهو تعب ضائع

أيها السادة . ان من أهم اسباب انحطاط الامم وارتقاها طرق التعليم والتربية واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الا لاعداد موظفين أو أصحاب فن يحترفون به للقيام بمجالات الحياة التي لا يستغني عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها أصحاب المدارس الخصوصية

والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيه للأسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال

وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها أمر التعليم العام بجميع فروع ودرجاته وإذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات عامة هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

أيها السادة . نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للالتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى الاكتشاف المجهول . فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم . نود ان نرى من ابناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً اتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة . انا اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ (اكسب كثيراً واتعب قليلاً) ولا نجد فيهم العامل المحب لعمله أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتتمدد

فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها وإنما نجد أفراداً قليلين . قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً ومن حين الى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطالب الارتقاء الى المراتب السامية .

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسه وان اكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الاحساس الذين تهتز اعصابهم المتوترة بلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . اولئك هم السعداء — الاشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادفة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي اليه أسرارها فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكيماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً أيها السادة . ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالته وهو نتيجة من نتائج التربية الاولى . التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لانهمتم الا بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد المادية كملاقات الاقارب والاصحاب . وليس من المنتظر ان تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغيراً محسوساً الا اذا تم اصلاح العائلة المصرية هل يجوز ان يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل . نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك انه مفقود في بلادنا . حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن أرضنا ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين ان حب التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم

محمد علي باشا الى الآن

ولي أمل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا انداز مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تصرف فيه لتتمتع بالتوازن لللازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب ان الامة المصرية تشيده بيدها ليقى أثراً خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقى الادبي فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين وشكراً للاحتين في هذا العمل الصالح“

الفيلسوف نيتش وفلسفته

فيلسوف كان له تأثير عظيم في افكار البشر في الارض
وقد حاول هدم اكثر المبادئ القديمة
الصحيحة والفاصلة

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته

نيتش ضد دروين ورجا غلبه

ان مبدأ ,, تنازع البقاء“ (١) مبدأ بسطه دروين ولكنه لم يثبت حتي الآن . واذا افترضنا وجوده — وهو موجود على ما يظهر — فانه لا يؤدي الى الغاية التي ذكرها دروين ونجتري ان نود لو انه يؤدي اليها وهي (تغلب

(١) جرت تسمية هذا المبدأ (تنازع البقاء) وأصله (التنازع من أجل الحياة) يريدون معيشة الفرد وحياته

الاقوياء والمنازين) فان الثابت عندنا ان مبدأ تنازع البقاء يؤدي الى تغلب الضعفاء على الاقوياء . أولاً لان الضعفاء اكثر عدداً والاكثرية أغلب وثانياً لانهم أشد حيلة . ان دروين في مذهبه هذا قد نسي (العقل Esprit) ولا بدع فهو انكليزي . فالضعفاء اقوى عقلاً وحيلة من الاقوياء لانهم اكثر احتياجاً اليها ولا توجد الحيلة والعقل الا حيث توجد الحاجة اليها . اما ذو القوة فلا يبالي بالعقل والحيلة بل يعتمد على قوته . فبدأ (تنازع البقاء) يؤدي الى غلبة الضعفاء بحيلتهم على الاقوياء واعمالهم عقلم في هذه الحيلة . واعني بالعقل هنا الصبر والاحتياط والكتمان والاحتفال وما جرى مجراها

نيتش ضد رنان

اللاهوت عبارة عن اختلال العقل . ومثاله رنان الذي كلما أراد ان يحكم حكماً فاصلاً بقوله (لا) أو (نعم) ظهر للسامع ظهوراً جلياً انه يكتم فكره وان ذلك الحكم خلو من كل جزم . ولقد اراد رنان ان يجمع بين (العلم وطبقة النبلاء) ولكن العلم من خواص الديمقراطية ومزاياها فكيف يمكن هذا الجمع . ثم أراد جعل (ارسطوقراطية للعقل) ولكنه مع ذلك يجثو بجثوع لدى مبدأ يخالف هذا المبدأ وهو (انجيل الضعفاء) . ولا يجثو فقط جثواً بل . . . فاذا ينفع الانسان كل ما له من فكر حر وتهكم وعصرية اذا كانت احشاؤه لا تزال مسيحية أو بالاحرى اذا كان لا يزال كاهناً (١) ولرنان سحر خلأب كما لكل يسوعي وابتنسامة منفرجة كأنها ابتنسامة راهب . وهو كجميع الكهنة والرهبان لا يكون ذ خطر الا متى أحب أي متى أحب شيئاً ودعا اليه بكل قوته . فليس أحد يشبهه في دعوته الى ما يجب ويعبد فهي طريقة خاصة به وتؤدي الى خطر على

(١) رنان كان كاهناً في شبابه كما بسطنا ذلك في ترجمته في مقدمة كتابنا

الحياة . وان هذا (الروح الزناني) هذا الروح الذي يزعج النفس لانه يبذر فيها بزور التردد والحيرة انما هو مصيبة على فرنسا المسكينة يزيد في ضعف إرادتها فوق المصائب الاخرى التي اصابتها بضعف الارادة

مرضه وفلسفته وحقيقته

كانت أعوام الشدة التي مرت عليّ اكثر افادة لي من اعوام الرخاء . بل مرضي الطويل نفسه افادني اكثر من صحي . ذلك انه افادني (صحة عليا) صحة قوية بما طرأ عليها لان كل ما يطرأ على الانسان ولا يقتله فهو يقويه . وما نشأت فلسفتي الاّ عن مرضي . فانه لا شيء يكون فلسفتنا نحن معشر الفلاسفة ويبرزها بتمامها الا الاّلم الشديد المتصل الاّلم العظيم الذي ينمو مع الوقت ويكرهنا على النزول الى أعماق الاّعماق مبعداً قلوبنا عن كل ثقة وبشاشة ونازداً منا كل مجاملة بشأنها وكل توسط وتخفيف وتلطيف امور كنا نرى من قبل انه من الواجب الانساني التزامها . واني اشك في هل يجعلنا ألم كهذا الاّلم ,, أفضل مما كنا قبله ,, ولكنني على ثقة من انه يجعلنا أعمق فكراً وأبعد غوراً . وذلك اما لاننا نعتاد مواجهته بكبرياء وتهكم وقوة إرادة واما لاننا ننكش لدى ذلك الاّلم وننزوي في اعماق نفوسنا غير مبالين بشيء . ونفقد بعده الثقة بالحياة ولكننا لا نكرها بل نحبها من وجه آخر . نحبها كما يحب الانسان امرأة يشك في امانتها

ومن الغريب ان هذا الشعور يتبعه شعور آخر . فان الذي ينزل الى هاوية الاّلم هذه يخرج منها وقد تجدد شباب نفسه كأنه 'مُخلق خلقاً جديداً' . يخرج وقد أصبحت حواسه أشد بشاشة ونفسه اكثر ميلاً للفرح والمسرّة ولسانه اكثر انطلاقة في الاشياء الجميلة . ولكنه يخرج وهو لا يبالي بشيء من المسرّات الاعتيادية التي ألفها اغنياؤنا وحكامنا (ومهذبونا) كالفن والكتاب والموسيقى

وسائر (الملائكة الروحية) التي 'تستق' (بالاشربة الروحية) وكل ما يعجب به غوغاء الناس ويدعونه سامياً وعظيماً . كلا انه يطالب حينئذ (فنناً) غير هذا الفن أعني فنناً (لاصحاب الفن) فقط والبشاشة كلها . والله كم نتعلم بعد ذلك الا'لم كيف يجب علينا ان ننسى و(نجهل) بعض الاشياء وان كنا على علم بها . واما تأثيرنا من حيث مستقبلنا فكونوا في اطمئنان . اننا لا نكون ابداً كفتيان المصريين القدماء الذين كانوا يدخلون الهياكل في الظلام ويقبلون الاصنام فيها ويكشفون عنها غصبا' السائر التي كانت تغطيها وتحجبها لاسباب معلومة . كلا فاننا لا نريد اغتصاب الحقيقة ولا يكون هذا الذوق السقيم ذوقنا ابداً فان هذا من أفعال من هم قتيان في حب الحقيقة لا شيوخ . فكل هذا لا يهمنا . ولقد اصبحنا من الخبرة والجد والبشاشة والاحتمال وبعد الغور في منزلة تصوننا منه . ونعتقد ان (الحقيقة) لا تبقى (حقيقة) اذا مزقنا عنها الستار . فقد جرت العادة اليوم انهم لا يريدون فهم كل شيء ومعرفة كل شيء . (ومن عرف كل شيء احتقر كل شيء) سألت فتاة ساذجة امها ، احقيقي ان الله سبحانه يرى كل شيء . يا أماه . اذا كان هذا صحيحا فاني لا أراه حسناً ، فربما كانت الحقيقة امرأة ذات حياة وفيها ما يوجب ان لا 'يرى . فعلينا ان نكون كما كان قدماء اليونان : (سطحيين) في الظاهر وبعيدي الغور في الباطن . بمثل هذا يكون صاحب الفن صاحب فن (١)

مریم قبل التوبة

لم يتسنَ نشر الملزمة المعتادة من هذه الرواية التي يؤلفها صاحب الجامعة ذلك لانه كما يعلم القراء متغيب . وان شاء الله تنشر في الجزء التالي

(١) نعيد التنبيه الى اننا نلخص تلخيصاً ولا نعرب حرفياً

أحد آثار رحلة

دعوة الجامعة السوريين المهاجرين الى الزراعة
في الولايات المتحدة (١)

نسبنا التعميم المسيحي فلا نعلم أي قديس كان ينتظر ظهور المسيح ولما حمل اليه الطفل يسوع وأخذه بين يديه في الهيكل قال القول المشهور على ما ورد في التماثيل الدينية وهو ،، الآن أطلق عبدك ايها السيد حسب اقوالك بسلام فان عيني قد ابصرتا خلاصك “ يعني انه منصرف براحة الى القبر بعد ان رأى ظهور المسيح

والجامعة تقول الآن لاخواننا السوريين المنتشرين في اقطار اميركا الشمالية: ان اليوم الذي ترى فيه الجامعة ان المهاجرين اهتموا للزراعة وامتلاك الارض وتربية المواشي كاهتمامهم للتجارة فانه يجوز لها ان تقول ،، اطلق عبدك بسلام فان عيني ابصرتا خلاصك “

راينا في الداخلية حامل البضائع السوري ينو تحت حمله الثقيل ويطرق المنازل الحلي منها والعاطل (٢) وهو يشكو ويتضجر شكوى يرق لها الحجر وراينا العملة السوريين في معاملهم يؤجرون ابدانهم وقواهم لمن يبتزها

(١) مه على الجامعة « الجريدة » سنتان وهي تنشر الدعوة الى الزراعة وامتلاك الاراضي في الولايات المتحدة وتو بدها بكل قواها وقوي مراسليها الادباء نوجيها لا نظار اخواننا المهاجرين الى هذا الامر الخطير. وحتى الآن لم ننشر في المجلة شيئاً يذكر بهذا الشأن افادة اقراءنا في الخارج فنشرنا هنا هذين الفصلين وقد نشر احدهما في الجامعة الجريدة

(٢) أي الذي لا حلية له غير ذلك

ابتزازاً وُيفنيها تدريجياً في جوّ المعامل المشبع غباراً وغازاً . ويبقيها أجيرة له ما بقيت لها من الحياة بقية محرومة استقلالاً واعتزازاً

ورأينا التاجر المتسكع في تجارته تسكماً في نيويورك والداخلية يُعمره بعناد عجيب وصبر غريب على التجارة ببضائع أصبح التعب فيها ضائعاً أو كالضائع . وهو يستقرضها ويقرضها وحين الاستحقاق يعلم ان ما عليه معجّل وان ما له مؤجّل . الى ان يعود القارطان . ويلتقي الفرقدان

رأينا كل هذا ورأينا بجانبه ان مساحة الاراضي المزروعة في الولايات المتحدة ٨٤ مليون هكتار والاراضي غير المزروعة تملأها الاحراش وتعوزها يد الانسان ١٥٢ مليون هكتار . فقلنا أي افعى هائلة التفت على جسم نزالتنا العزيزة ومنعتها حتى الآن من الاقبال على الزراعة . أي سحر غريب جعلنا ان نُنفض عيوننا عن مغذية البشر وملاحظة الاخلاق ومصححة الاجسام

ان الاميركان مصابون الآن بالجنون الذي أصاب جميع البشر في هذا الزمان وهو (الانجذاب الى المدن) للاقامة بين زخارفها ولذلك ترام يعرضون حقولهم ومزارعهم للبيع وهي فرصة ثمينة الآن فما الذي يمنعنا ان نقتنمها

كان الذئ ما سمعته في رحلتي واحاديث الاخوان السوريين من قراء الجامعة عن الزراعة . وما كنت اظن ان ما نشرته الجامعة في هذا الشأن يكون له هذا التأثير لديهم . فالعامل في معمله يفكر منذ الآن في ان يقتصد مالا للشروع في الزراعة . والتاجر الصغير يقول بعد سنتين ساشرع فيها . وفي بوتناكت قال لي جناب الفاضل يوسف افندي عساف الذي يشتغل بصناعة جميلة وهي تزيين المنازل وفرش جدرانها بالورق الملون : اسأل الله ان لا اموت الا في مزرعة

فاجبته : وأنا اتقنى امينتك ايضاً

وقد ظهر لي ان كثيرين من اخواننا السوريين شرعوا في شراء المزارع

ولم تتصل بنا أخبارهم • فانا اعتب عليهم • وما ذلك لان نشر اخبارهم بهم
أومان الجامعة تفاخر بنشرها فانها لم تكتشف الزراعة اكتشافاً بحمد الله وانما
قدمت من بلاد مصر وهي بلاد زراعية محضاً وملكها وامراؤها ووزراؤها
واغنياؤها مزارعون فبديهي ان تهتم للزراعة هذا الاهتمام
وانما نعتب على الاخوان لاننا نعتقد ان كل مزرعة سورية تحدث وتُنشر
اخبارها وعلى الخصوص اخبار نجاحها يؤثر هذا النشر احسن تأثير في تأييد هذه
الدعوة فيزيد عدد المقبلين على الزراعة

في بوتاك

استجار مزرعة

المزرعة الاولى — ومن المزارع الجديدة التي علمنا بها في سفرنا مزرعة جناب
الحواجا الياس منها قرب بوتاك (كناتكت) فقد انشأ حضرته منذ زمن
فرناً لصنع الخبز السوري للسوريين في بوتاك واذ كان غبر راض في عمله
احتراف في ماذا يعمل • فاشار عليه جناب الفاضل يوسف افندي عساف
احد اصدقاء الجامعة في بوتاك ان يعمل في الزراعة فاستأجر منذ شهر مزرعة
قرب بوتاك مساحتها ١٦ اكرًا تزرع و٤ اكر حرش يقطع منه الحطب وفي
المزرعة بئر ماء ومنزل فيه ٨ غرف واصطبل للماشية ومربى للطيور كالدجاج
وغيرها مساحته ٥٠٠ قدم وهو مصون باسلاك من كل الجهات ومربى للحمام وهو
مصون باسلاك ايضاً حتى من جهة سقفه لئلا يطير الحمام — والاجرة هي ١٥ ريالاً
في الشهر

وانظروا النكتة • ان الحواجا منها كان يدفع في بوتاك ٩ ريالات في
الشهر اجرة لمنزله • ويدفع ايضاً ٨ ريالات في الشهر ثمن الحطب لفرنه •
الجملة ١٧ ريالاً • اما الآن فخطب فرنه يأخذه من حرشه وعيلته تسكن في

منزله في المزرعة . فكأنه يزرع ١٦ اكراً بلا اجرة ويستثمرها خضراً وبقولاً ويربي فيها انواع الطيور

في ماين شراء مزرعة

المزرعة الثانية — والمزرعة السورية الثانية التي علمت بها قائمة في بوت باي هربير (ماين) لاصحابها حضرات الخواجات سعيد ومنصور وراضي فضول . وفيها الآن الخواجا سعيد اما الخواجا منصور والخواجا راضي فانهما يقيمان وقتياً في كبردج (ماس) . وقد ابتاعها حضراتهم منذ بضعة أشهر بثمن قدره الفا ريال منها ٥٠٠ تقدماً والباقي مقسط الى ١٥ سنة كل سنة قسط وهو مائة ريال — وفيها ثلاث آبار للماء وماء باسطوانات للمنزل . وعدد غرف هذا المنزل فيها نحو ٧ غرف وهو حديث البناء . ومساحة ارض المزرعة ١٦٠ اكراً منها ٦٠ للزراعة و ١٠٠ احراش فاذا قطع حطب هذه الاحراش أربى ثمنه على ثمن المزرعة اذ ثمن كل عربة حطب مقطوع ثلاثة ريالات وربع . وفي المزرعة محل لتربية المواشي طوله ٧٥ قدماً وحديقة تفاح فيها نحو ٥٠ شجرة تثمر ومحل لنجارة لاصلاح الآلات اذا طرأ عليها طارئ

قال لي الاخوان الفاضلان الخواجات منصور وراضي من اصحاب هذه المزرعة حين لقيتهما في كبردج (ماس) ان الاميركي الذي باعهم اياها لينزل الى المدينة قد ندم وعرض عليهم ارجاع الثمن واستردادها فأبوا . فتذكرت حينئذ اخواننا الذين يتركون البرّ وينزلون الى المدن الكبرى كنيويورك وغيرها ولديهم شيء من المال لا يعلمون ماذا يفعلون به فيضيعونه في هذه المدن ثم يعودون منها بجني حزين . ولو ابتاعوا مزرعة بدل نزولهم الى نيويورك واقاموا على حراثتها وتربية المواشي فيها لعاشوا عيشاً هائلاً من عيش ركفلر . وامتلاّت خزائنتهم

مع الوقت بالابيض والاصفر والاخضر (١)

من يريد شراء مزرعة على الطريقة التي اشترى بها الحاجات فضول اخوان؟
من يريد ان يكون من السابقين الى تأسيس النزلة السورية في اميركا على
اسس وطيدة لا تتزعزع لا بصرصر ولا زعزع؟ من يريد اقتناص الارض قبل
فواتها؟ فاني ارى المزارع معروضة للبيع في طريقي

رأيت العجب في لورانس

ولما كانت الزراعة السورية موضوع هذا الفصل فلا اذكر هنا شيئاً مما رأيته
عن نهضة اخواننا في لورانس ماس من جريدة عندهم أيدها وجمعيات الفوها
وروايات مثلوها والفة عززوها ووداد صاف يستقبلون به الضيف فيصبح وكأنه
في صداقتهم ابن ثلاثة اعوام مع ان معرفتهم به لا تتجاوز ثلاثة ايام . وهذه أمور
سأنكلم عنها في فصل مفرد في الجريدة اظهاراً لفضل اخواننا اللورانسيين
واعترافاً بجميل ودادهم . فقد غمروني حقاً بفضلهم ولطفهم ورقة اخلاقهم حتى
عجز لساني عن الكلام ولكن قلبي لا يعجز تبعاً لقول ابي تمام

أأنفع المعروف وهو كأنه قمر الدجى اني اذاً للثيم

فاروح في بردين لم يسحبهما قبلي فتى وهما الغنى واللوم

واحصر كلامي هنا عن الزراعة السورية في لورانس

سرفت يومين في افتقاد بعض المزارع السورية في لورانس . فعلمت ان
الذين يعملون في الزراعة فيها بضعة من السوريين وهذه اسماؤهم

(١) ملحم افندي نجوم مدير جريدة الوفاء الغراء ووالده (٢) بربر افندي

(١) الابيض والاصفر معروفان عند العرب وهما الفضة والذهب واما الاخضر فهو
لون الاوراق المالية الاميركية

البركس (٣) راجي افندي شنتيري ووالده (٤) الخواجا داود غنام (٥) الخواجا طنوس وعبه (٦) الخواجا سليم صباغ (٧) الخواجا ملحم حجار واخوه (٨) الخواجا الياس تقولا (٩) الخواجا بشاره سليمان . وربما فاتي ذكر غيرهم فارجو منهم المذرة لعدم اتصالي بهم

مزرعة الخواجا ببر البركس — لم اتمكن من زيارتها لسوء الحظ بعد ان اتفقت على ذلك مع الصديق الاديب الفاضل ملحم افندي البركس . وقد اسفت جداً لانها مع مزرعة اسرة نجوم واسرة شنتيري اكبر مزارع السوريين في لورانس كما بلغني . وهي تمتاز بعنايتها بتربية البقر والاتجار باللبانها امتيازاً خصوصياً

مزرعة اسرة نجوم — قال لي الصديق الاديب الفاضل ملحم افندي نجوم مدير جريدة الوفاء في لورانس اول ما التقينا اما ، تزوروني لمشاهدة مزرعتي ، فاجبته ، ، جاك وكرامة هذه هذه امنيتي في رحلتي ، ، واول ما يلقيني المشتغل بالزراعة في الداخلية يسألني هذا السؤال لعله باهتمام الجامعة لهذا الموضوع خاصة . فجعلنا يوم الاحد الاخير من الشهر الماضي موعداً للزيارة

ومزرعة اسرة نجوم مؤلفة من ٦٠ اكرًا من الارض نصفها تقريباً احرش ترعى فيها بقر المزرعة وعددها ١٨ رأساً والنصف الثاني مزروع . وفي وسطها منزل ذو عشر غرف . وفيها آبار تجري المياه منها الى المنزل في اسطوانات خصوصية . وعلى أحد الآبار مضخة تدار بدولاب هوائي لاستخراج الماء . وفيها اسطبل للبقر يسم اكثر من ٣٠ بقرة ومخزن لحزن علفها . واسطبل للخيول ونحو ٥٠ شجرة مشمرة . وقد ابتاعها الخواجات نجوم بسبعة آلاف ريال اميركي

مزرعتها

فيها نحو ٢٠ اكرًا تزرع حشيشاً لعلف البقر . واهراشها يُقطع منها من

الحطب ما تبلغ قيمته ثلث ثمن المزرعة لو 'قطع كله . وفيها ٤ اكر مزروعة ذره
واكر ونصف بطاطا وثلث اكر بنجرًا وثلاثة ارباع الاكر بصلاً وخمسة اكر بندوره
(طماطم) وقتاً وباذنجاناً وكوسى وفلفلًا وغير ذلك . وثلاثة ارباع الاكر
المزروعة بصلاً قد غلّت في العام الماضي نحو ٣٤٠ بشلاً من البصل ثمنها اكثر
من ثلاثمائة ريال . مع ان ثمن الاكر كله لا يبلغ ١٢٠ ريالاً

بقرها وتجارها بالالبان

ولكن ليس عمدة المزرعة على مزروعاتها مع انها لو زرعت كلها لكان ريعها
في كل عام ما يعادل ثمنها . وانما عمدتها على بقرها واتجارها بالالبان . ففيها ١٨
رأس بقر معدل ثمن البقرة ٥٠ ريالاً . ومعدل حليب البقرة في كل يوم من
١٣ الى ١٥ كوارتر حليب (لبن) . وهي تحلب ٩ أشهر في السنة . وفي كل
يوم يأتي ملتزم شراء اللبن ويأخذ من المزرعة نحو ١٣٠ كوارتر حليب (لبناً)
ثمن الكوارتر خمسة سنتات في الشتاء واربعة ونصف في الصيف لان اللبن يرخص
في الصيف لكثرتة . فيكون دخل المزرعة من لبنها فقط في كل يوم نحو ٦ ريالات

ربح البقرة الواحدة

ولنحسب دخل البقرة وخرجها . فهي تأكل في السنة طنين من الحشيش
ثمنها ٢٨ ريالاً . و ١٤٠ بشلاً من علف البقر ثمنها ٧٠ ريالاً . فيكون قيمة
طعام البقرة الواحدة في العام ٩٨ ريالاً . اما دخلها فاذا حسبنا انها تحلب كل
يوم ١٥ كوارتر ثمنها ٧٥ سنتاً فتكون تحلب في سنة حليبها (أي تسعة اشهر أو
٢٧٠ يوماً) ٤٠٥٠ كوارتر (اربعة آلاف وخمسون) ثمنها ٢٠٢ ريال ونصف .
فاذا طرحنا منها نفقة البقرة التي تقدم ذكرها وهي ٩٨ ريالاً فيكون صافي
ربح البقرة الواحدة في العام اكثر من مائة ريال . وبعبارة اخرى ان معدل نفقة
البقرة في كل يوم ٢٥ سنتاً و ثمن حليبها ٧٥ سنتاً

فسألت الخواجا نجوم وإذا اصاب البقر وباء فكيف تفعل . فقال مضت عليّ سنوات ولم تصب بقرنا بوباء . وإذا اُصيب بقره به فصاحه الصحة تأتي وتداويها . وإذا كان مرضها معدياً اخذتها مصلحة الصحة وقتلتها بعد ان تدفع لي نصف ثمنها الاصيلي

وقد جلسنا وآل البيت الكرام تحت شجرة تفاح امام باب المنزل والطبيعة هادئة حولنا والاشجار تنشر لباسها السندسي والشحرور يغرد فيها كأنه حمام اليف لكثرته وازهار الربيع تتناثر علينا من الشجر . فلعمري انني ابيع مدينة باسرها بجلسة كهذه الجلسة . ولذلك غبطت الطديق ملحم افندي لمعيشته الجميلة . وفي الساعة الثالثة تقريباً حملتنا مركبة للمزرعة نظيفة انيقة وجواد جميل الى خط الترامواي على مسافة ميلين أو ثلاثة مع جناب الاديبين ملحم افندي البركس ونصر افندي حجار رفيقنا في هذه الزيارة ونحن نشكر لآل نجوم حسن ضيافتهم وكرم اخلاقهم

وقد زرت ايضاً مزرعة جديدة لجناب الاديب الخواجا وليم حجار وشقيقه النسيط وقد شرعا في قطع حطبها وزراعة ارضها ونشر الخشب من شجرها منذمة لا تتجاوز الشهرين . فندعو لحضراتهما بالنجاح التام لنرى مزرعتهما في الزيارة التالية من أهم المزارع السورية في لورانس اتقانا

بقي كلام واف على مزرعة الخواجا شتيري والخواجا داود سليمان لم يسمعه مجال المجلة فسنشره في الجزء القادم أو في الجريدة